

## محات من أدب أواخر العهد العثماني في مدينة حمص

د. عبد الإله نبهان

### مقدمة:

**في** عدد سابق من أعداد مجلة التراث العربي (1)، ومنذ عشر سنوات، كنا ألمنا الإمامة العجل بأحوال الشعر في مدينة حمص في أواخر أيام الدولة العثمانية، واستعرضنا بعضاً من أسماء أولئك الشيوخ الذين يقرضون الشعر، ووعدنا بالعودة إلى ذلك لإتمام ما بدأناه.. وما نحن أولاء نعود وقد تجمعت لدينا طائفة من أسماء لم تذكر قبلاً، إضافة إلى نماذج من أشعارهم وقعنا عليها هنا وهناك أو دونها ممن حفظها..

ولا أجد ضرورة لتكرار تلك الخصائص العامة وآفات الركاقة التي اتسم بها أدب تلك المرحلة، لأننا بسطنا القول في ذلك في البحث السابق المشار إليه، وسنبداً بذكر أولئك الشعراء مع مختارات مما وقعنا عليه من أشعارهم على طريقتنا في إثارة الإيجاز ومجافة الإطناب. وإذا كنا قد ذكرنا بعض الشيوخ ممن كانت وفاته بعد عام 1930 فإنما يعود ذلك إلى أن تكوّنهم العلمي كان قد تمّ واكتمل في العهد العثماني، وامتدت بهم الحياة واستمرّ شعرهم وأدبهم يحمل خصائص المرحلة التي تكوّنوا فيها.

### -عبد الستار الأتاسي: (2)

هو الشيخ عبد الستار بن إبراهيم بن علي الأتاسي، مُفتي حمص. ولد في طرابلس الشام، وأكّبه على تحصيل العلم، وسافر إلى دمشق، وأخذ عن علمائها وقرأ عليهم، ومنهم الشيخ محمد الكزبري والشيخ محمد بن عبيد العطار والشيخ نجيب القلعي والشيخ شاكِر العقاد وغيرهم. وكتاب العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار هو المصدر الأساسي لمعرفة عامة عن الشيخ عبد الساتر، فقد ترجمه ونعته بالمهابة والوقار والإخلاص للحق ثم قال "وله شعر لطيف رقيق، ونثر أعذب من الرحيق، ومفاكهات أدبية ومناسبات لما يُخلُّ بالأدب أبيّة (4)" ومثل هذه الأحكام أو التلميحات النقدية تكثر في



مَنْ لَه قَلْبٌ رَحِيمٌ قَدْ صَفَا      وَالِدُ الزَّهْرَاءِ جَدُّ الْحَسَنِ  
وَيَطِيبُ لِلشَّيْخِ أَنْ يَخْتَمَ مَوْشَحُهُ فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ مُسْتَدْعِيًا ذَكْرِيَّاتِهِ الْغَابِرَةَ وَأَيَّامَ صَبَاهِ الْآفَلَةِ:  
كَمْ رِيَاضٌ مَعَ غِيَاضٍ حَوْلَهَا      وَبَسَاتِينَ زَهَتْ بِالنَّيْرِ بَيْنِ  
وَقُصُورٍ عَالِيَاتٍ كَمْ لَهَا      وَعَيُونَ فَائِقَاتٍ كُلَّ عَيْنِ  
وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ حَالَهَا      تَجْمَعُ الشَّمْلَ الَّذِي مِنْ بَعْدِ بَيْنِ  
طَالَمَا قَضَيْتَ عَمْرًا سَالِفًا      بَيْنَ أَحْبَابٍ وَثَنَهُمْ قُطُنُ  
حِينَمَا قَدْ كُنْتَ صَبًّا ذَرِفًا      خَالِي الْأَفْكَارِ مِنْ عَيْشٍ هَنِي

توفي الشيخ في "معان" بالأردن وهو عائد من الحج، وكانت وفاته عام 1245هـ = 1828م.  
وكان الشاعر أمين الجندي قد مدح الشيخ عبد الستار بمناسبة زيارة قام بها للمدينة المنورة - كما  
أظن - عام 1242هـ وفيها يقول:

شَمْسُ الْمَعَارِفِ مِنْ وَرَاءِ سَتَائِرِ      بَزَغَتْ تَقْبَلُ ذَيْلَ عَبْدِ السَّاتِرِ  
مُفْتِي الْأَنَامِ وَشَيْخُ إِسْلَامِ الْوَرَى      مَنْ لَمْ يَنْزِلْ لِلدِّينِ أَعْظَمَ نَاطِرِ  
هُوَ رَوْضَةُ الْفَضْلِ الَّتِي أَفْنَانُهَا      لِلْهَذِي تَطْلُعُ كُلَّ نَجْمٍ زَاهِرِ  
نَجْلُ الْأَتَاسِيِّ الَّذِي بِسَمَا الْعُلَا      وَرَثَ الْمَفَاخِرِ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ  
أَعْنَى ابْنِ إِبْرَاهِيمَ كَعْبَةَ قَصْدِنَا      بِدْرِ الْهَدْيِ بَحْرِ الْعُلُومِ الزَّاخِرِ (7).

### -محمد خالد الأتاسي:

ولد الشيخ محمد خالد الأتاسي في حمص سنة 1253هـ = 1837م (8) واتجه إلى تحصيل العلوم الشرعية، وأصبح مكيًا بها ضليعا، وتسلّم منصب الإفتاء في مدينته، وعُرف في عالم القانون بشرحه المبسوط لـ "المجلة" (9) المشتملة على الأحكام القانونية أيام الدولة العثمانية، ولا يزال هذا الشرح مرجعا قانونيا هاما. ولا يهمننا من الشيخ هذا، وإنما نتجه إلى الجانب الفني الجميل ولا سيما أنه عرف عنه أنه يقول الشعر، وذكر له المرحوم أدهم الجندي أبياتا قليلة (10)، وشاءت المصادفة أن أقع على أوراق منتزعة من كنّاش قديم جمعت فيها قصائد للشيخ محمد خالد ولابنه الشيخ محمد طاهر، وإذا كانت هذه القصائد لا تكفي لبناء دراسة موسعة، فإنها تكفي -على الأقل- لتقديم لمحة عن المقدرة

الفنية لدى الشيخ. وسنقف أولاً لدى نماذج مستمدة من قصيدتين، الأولى في مديح الرسول الأعظم والثانية في مديح أحد الولاة.. ومديح الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أغراض الشعر الأساسية عند الشعراء والعلماء الذين ينظمون الشعر في العهد العثماني، وقد أكثروا من القول فيه، وكرروا المعاني والصور، إلا أن كلاً منهم كان يحسّ وهو يمدح الرسول أنه إنما يأوي إلي ركن أمين، وفيه إلى ظلّ وريف، وينعم بأفياء دوحة باسقة، وغدا مديحه صلى الله عليه وسلم باباً لإظهار الضراعة وطلب الشفاعة، وسبيلاً لإظهار التوبة والتطهر من الذنوب. وسأذكر نماذج قد أطيل في بعضها، وشفيعي أن هذا الشعر غير منشور ولا محفوظ وإنما يوثق على هذه الصفحات، قال:

أنت يا مَنْ للسَّير شَدَّ رحالَه  
قَفْ بسنَعِ وَحْيٍ عَنِّي رَجالَه  
واشْدُ إنْ فَوَّقَ الزَّمانُ نِبالَه  
مستغيثٌ يا مَنْ خَتَمَت الرِّسالَه

مستجيرٌ يا مَنْ أَجَرَت الغزالَه (11)

وإذا برقَ طيِّبَه لَكَ لَغَلَع  
فاحذُ للعيس واحبِسْناها بـ "لَعَلَع"  
واستحلَّ وجنتيك بالدمع لَعَلَع  
واشدُّ واصعق وصحْ أنا لا محالَه

مستجيرٌ يا مَنْ أَجَرَت الغزالَه

وهذا المطلع التقليدي لقصائد المديح النبويّ نهجٌ مطروق، سبيله لاجبة، وطرقه معبدةٌ مذلّة، نموذجها الأعلى قصيدة البوصيري المعروفة بـ "البُرْدَة" وسار الشعراء على نهجه، وتجلّت لدى كثيرين منهم فكرة "الحقيقة المحمدية"، وأفصحوا عنها بأساليب شتى، وكان العلماء من الشعراء أشدّ تفصيلاً لها وتعلقاً بذكرها، وها هو ذا صداها يبرز في هذه القصيدة:

هو لولاه لم يكن للوجود  
والبرايا بأسرها من وجود  
هو والله باب فضل وجود  
فاقرعْهُ وقلْ أضاع احتمالَه

مستجيرٌ يا مَنْ أَجَرَت الغزالَه

ثم يلهج بفضل رسول الله ويفضّله على سائر الخلق طراً، ومثل هذا التفضيل معنيّ كرره مادحو الرسول، وفضّلوه على الأنبياء جاعلين مرتبته فوق مرتبة الجميع، ومن هنا جاء قول شوقي:

وقيل كلّ نبيّ عند رتبته  
ويا محمد هذا العرش فاستلم

وقد عبر الشيخ محمد خالد عن هذا المعنى بقوله:

أفضل الأنبياء فرعاً وأصلاً  
بل وأجراهم خطاباً وفصلاً

\*\*\*\*\* القراءۃ العربیہ \*\*\*\*\*

كهف حصن منه الهدى سلّ نصلا      غثّ لصبُّ أزحت عنه الضلالة

مَسْتَجِيرٌ يَا مَنْ أَجَرْتَ الْغَزَالَ

وتعدّ الإشارة إلى بعض المعجزات النبوية من الأمور اللازمة في قصائد المديح النبوي، وبعض القصائد تنجّه إلى استيعاب جميع معجزاته صلى الله عليه وسلم، وقد ورد شيء من ذلك في قصيدة الشيخ الأتاسي:

فَاضٌ مِنْ إِبْصَعِيهِ مَاءٌ نَمِيرُ      آيَةٌ، فَاحْتَسَاهُ حِمٌّ غَفِيرُ

فاتح، خاتم، سراج منير

مَسْتَجِيرٌ يَا مَنْ أَجَرْتَ الْغَزَالَ

وبنهاي الشاعر قصيدته ببعض المقاطع الجميلة معتذراً عن إساءاته، مظهراً تواضعه معترفاً بنقصه، راجياً الغفران:

يا إلهي أنا المسيء فعالي  
وببحر الأوزار أغرقت حسالي

وَبِبَابِ الرَّجَاءِ خَلَعْتَ نَعَالِي  
قَائِلًا وَالْغُفْرَانَ أَرْجُو كَمَا لَهُ

مستجير يا مَنْ أُجِرْتَ الغزاة

وصلاتي تركو بنشر الخُزَامِي

طبيب القلوب مسك الختام

مستجير يا مَنْ أَجَرْتَ الْغُرَالَةَ

وإلى آله البذور الكوامل وصحاب بهم تزاح الغوائل

ما شدا خالد الأناسى قائل  
مستغيث يا مَنْ ختمت الرسالة

مُسْتَجِيرٌ يَا مَنْ أَجَزَتْ الْغَزَالَةُ

والنموذج الثاني بين أيدينا قصيدته في مديح مدحت باشا (13) والي سورية حين وافى حمص في 15/شعبان سنة 1296هـ، وبدأها بطائفة من الحكم مستمداً معانيها من محفوظه الواسع، ويستطيع القارئ الباحث أن يستدعي إلى ذاكرته وهو يقرأ، عدداً من مصادر هذه القصيدة، وهنا يمثل المتنبّي والطغرائي (14) وابن الوردي (15) وغيرهم ممن كان حفظ شعرهم تقليداً بين متقفي الشيوخ آنذاك، وكان إيراد الحكم في مطلع قصيدة الأتاسي تمهيداً لإيراد صفات الممدوح التي تتسجم

مع الحكم المذكورة:

ألا إن أوج السَّغْد لاحت فراقِده  
تنبه أخا البأساء واركب مطية  
لعمرك ما العلياء تدرك بالرجا  
معالي الأماني لم ينلها سوى فتى  
ومن لم يكن جلدًا على اللسع لم يذق  
ومن لم يجذ بالنفس وهو مؤمل  
ومن يتجرع ماء بحر يعوم في  
فيا لابساً ثوب التكاثر قانعاً  
لموتك أخرى من حياتك خاملاً  
تقلد حسام العز واضرب براحة  
وابياك لا يغرك وغد رقي للغلا  
أما قيمة الإنسان ما هو محسن  
وإن لم يساعدك الزمان على المنى  
فلا تعتبه حيث كنت مهذباً

وهنا تنتهي مقدمة القصيدة الحكيمة لتتصل بما يسمونه في البديع بحسن التخلص ليصل بعدها

إلى غرضه:

ولكنما أشكو [الزمان] (16) لسيد  
أجل وزير وأزرتة يد الغلا  
له انقادت الأيام وهي ولاته  
يراود أبكار البها وتراوده

الخ..

وتتتابع هنا معاني المديح التقليدية، فمدحت باشا هو الأسد الضاري الوقور ذو النور، الشهم العادل، وقد عمّت السعادة مدينة حمص لأنه حل بها، وتختتم القصيدة بأبيات متضرعة متذلة، والضراعة نعمة كانت شائعة آنذاك، ونحن اليوم لا نسيغها ولا نقبلها، لكنها كان لها قبولها وكان لها

## \*\*\* التراث العربي \*\*\*

ما يسوغها:

فلا تُهملن من عبد بابك سيدي      عبودية شاعت فيشمت حاسده  
بسوق كساد ألقى الشعر إنما      بأوصافك الحسنى لقد راج كاسده  
فسمعاً لها لازلت أهلاً لمثلها      بمدحك يفتّر الزمان و"خالده"

وإذا كان مما لا شك فيه أن الشيخ كان راسخ القدم في العربية والشريعة فإنه مما لا شك فيه أيضاً أن آفة العصر الأسلوبية وأعني بها الركاقة قد تمكنت أن تخرق شعر الشيخ، ويمكنك أن تضع يدك عليها في كثير من المواضع، خذ قوله مثلاً: "غث لصب" وانظر إلى قوله:

له نور فكر، كل أعمى يكاد أن يرى في الدجى لو كحلته مراوده

وعلى كل حال فإن شعر الشيخ خالد يبقى في حيز ما يسمونه شعر العلماء أو شعر الفقهاء، وهو شعر كان له حضور في زمانه.

توفي الشيخ المفتي في حمص في تشرين الأول 1908.

### -عبد القادر نبهان(17)

هو الشيخ عبد القادر بن عمر نبهان، وكنا ترجمنا لوالده في التراث العربي(18) وأشرنا إلى نشأة عبد القادر على طلب العلم وقراءته على علماء مدينته، إذ كان والده يصحبه وإخوته أحمد وحامد ومحمد إلى الجامع النوري الكبير كل يوم بعد الظهر ليحضرُوا حلقات العلم الموجودة آنذاك. ويذكر صاحب "التاريخ الحمصي"(19) أن الشيخ عبد القادر غادر حمص إلى دمشق سنة 1297هـ وأنه عمل بالتجارة، كما عمل مصححاً في المطبعة، ثم قال: "ثم اتخذ مصلحة الحمامة" أبو كات"(20) وبرع بها. وذكر الحصني(21) أن الشيخ عبد القادر "أتى دمشق وحضر على فحول علمائها حتى برع في أكثر العلوم والفنون" وقال فيه "إنه حسنة من حسنات الدهر"(22) وسمعت أن الشيخ ألف عدداً من الكتب، لكنني لم أر سوى واحد منها وهو الموسوم بـ "بديع المعان في شرح قصيدة ابن قضيبة البان" وهو شرح كبير لقصيدة ابن قضيبة البان (ت1096هـ=1685م) في المديح النبوي وأولها:

أهلاً بنشر من مهبط زُرود      أحياناً فؤاد العاشق المنجود  
وروى شذاً خبر العقيق ففجرت      منه عيون الدمع فوق خدودي

وقد اعتنى الشيخ عبد القادر بشرحها شرحاً امتزجت فيه السيرة النبوية بنحو العربية وصرفها وبلاغتها واتسع في ذلك، فجاء شرحه في "340" صفحة من القطع الكبير(23).

## ❖❖❖ التراث العربي ❖❖❖

كان الشيخ عبد القادر يقرض الشعر، فقد ذكر الحصني أن عمر نبهان ابن الشيخ عبد القادر جمع كثيراً من شعر أبيه، ويبدو أن ما جمعه قد ضاع أو دخل مكتبة ما، لأن مكتبة الشيخ الضخمة قد بيعت بعد وفاته، ولا يزال مصلى صغير في دمشق يحمل اسمه إلى اليوم، وهو المصلى الذي يتوسط سوق مدحت باشا.

ولد الشيخ في حمص عام 1263هـ = 1845م وتوفي بدمشق عام 1332هـ = 1912م.

أما شعره فإنني وقعت على شيء منه في أوراق قديمة، وما وصل إلي يتألف من مقطوعات ذاتية وقدود ومديح، وقد يقرأ الشيخ كتاباً فيعجبه فيسطر بيتين على غلافه في تقيظه، فمن ذلك ما كتبه بخطه مقرظاً كتاب "كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار" (24):

كتاب معانيه هي البكر رشفة      وليس يراها قط غير المحارم

ويكفيه فضلاً أنه إن نسبته      فنسبته للعز مع ابن غاتم

وتدل أبيات من شعره على أنه نشأ معتمداً على نفسه معتداً بما وصل إليه من مكانة، قال مفتخراً بنفسه ناعياً على بعضهم تردده إلى أبواب الأغنياء وذوي المكانة ممن كانوا يدعونهم بـ "الذوات":

لنا الشرف الذاتى أضحى وراثته      وما هو إلا بالشهامة والمجد

صنائعنا المعروف والبر والتقوى      وحسن الوفا بالعهد والصدق والقصد

وليس لنا فى غير فضل إلها      تعلّق آمال لدى القرب والبعد

فإن أعرضت عنا "ذوات" زماننا      وإن أقبلت، فالحال عندي على حدّ

فقل للذي أضحى التردد دأبه      إليهم: أضعت العمر فى غير ما يجدي

ومما يتصل بهذا المعنى بسبب قوله:

المرء يسعد فى الدنيا إذا اجتمعت

فيه الخصال التي منها رضا الله

والعلم والدين والتوفيق يتبعه

والصدق فى القول والإخلاص لله

والمال والجود مع حظّ يشبّه

تواضع، ومزيد الشكر لله

فصاحه، طيب فرع قد زكا ونما

وحسن خاتمة فاطلب من الله

فهو الكريم الذي ما خاب سائله

وهو الغنى، فهل أغنى من الله

أما قدوده التي وقعت عليها فإنه جعل مضمونها مديح الرسول معرضاً عن الغزل، ومن ذلك



## \* \* \* التراتبي العربي \* \* \*

قوله في قدّ "أنا السبب بلّلي جرى" "صبّا":

يا خير مَنْ ساد الورى	وعمّ بالفيض الأعم
فى جود جدواك القورى	فامنحه ضيفان الكرم

لازمة

يا مصطفى يا مَنْ سما	أعلى مقامات العلا	وخصه ربّ السما
بالاصطفا دون الملا	يا شافعاً يوم الظما	عند الذي جلّ علا
اشفع لمن فيه جرى	حكم القضاء فيما أَلَم	

وكذلك فعل في قدّ آخر هو قدّ "حبك ملك قلبي" قال:

نور الهدى طه	بل بهجة الأكوان
أعلى الورى جاها	عند الرفيع الشّان

لازمة

يا سامى القذر	يا أحمد المختار
كن شافعى فى الحشر	من زلّة الأوزار
واضنيعة العمر	إن لم يكن لي جاز
حاشاك يا ذخري	يا معدن الإحسان

دور

يا أشرف الرسل	يا صاحب المعراج
يا منبع الفضل	يا ذا اللّوا والتّاج
هل سائلاً مثلي	قد صاح في الإدلاج
أرجوك يا سؤلي	يا رحمة الرحمن

دور

أزكى صلاة الله	على النبي الأمجد
والآل آل الجاه	مغ صحبه سرمد

صَبِّ وَمَا أَتَشْنَدُ

مَا هَامَ فِي شَجْوَاهِ

دَارِكُ فَتْسَى نَبْهَانُ

يَا نَوْرَ عَرْشِ اللَّهِ

### -محمد السكاف (25):

ولد الشيخ محمد السكاف في حمص عام 1842 ونشأ في طلب العلم وكان في مدينته مشهوراً باتساع الثقافة وبالتبحر في العلم، وكان ذا قدرة في الجدل والمناظرة. ذكره الخوري عيسى أسعد (26) في مقدمة كتابه "تاريخ حمص" واعترف بفضل علمه وقدرته على الإفادة، كما ترجم له الوفائي ترجمة موجزة ذكر فيها حادثة تدل على اتساع أفقه وعمق تفكيره بين معاصريه، فقد ذكر الوفائي أن الشيخ السكاف ناقش المفتي واستطاع أن يقنعه بكروية الأرض، وقال عنه الوفائي: "وما أظن أن أحداً يسأله عن شيء ولا يعرفه، بل هو عالم في جميع العلوم" (27) وإذا نزعنا من قول الوفائي ما فيه من مبالغة وشديد إعجاب واقتناع فإننا نستطيع تصور سعة ثقافة الشيخ في نظر أبناء زمانه.

كان الشيخ طليعة، طلب العلم كما يقال من المهد إلى اللحد، ولم ينقطع عن طلب العلم والمعرفة حتى بعد أن كفَّ بصره، فقد كان يحمل كتابه، ويذهب إلى مَنْ يقرأ له، وقد طوَّف في الآفاق وجاب البلاد وخبر العباد وأقام باليمن عشر سنين وزار الهند وأقام في مكة ثلاث سنين تعلم فيها علم الفلك، وكان يعمل بالتجارة وينهل من مناهل العلم.. وعاد وألقى عصا التسيار في مدينته وكتب عدداً من الكتب، منها كتاب في علم الفلك، ضاع فيما ضاع من آثار الشيخ التي لم يبق منها شيء، حتى مكتبته النفيسة الرائعة التي أفنى عمره في جمعها ذهبت وتبددت..

علمتُ من أحاديث الشيوخ أن الشيخ السكاف كان يقول الشعر، بل قيل لي إن له الكثير من الشعر، وطمعت في الوقوع على شيء منه.. ولكن عدت بخفي حنين.. ثم تهاوى إلي أن له ابناً في الثمانين ما يزال حياً ويحفظ شعر أبيه.. فعلاً فقد زرته -وذلك منذ عشرين عاماً- وكتبت ما يحفظه، لكن هذا المحفوظ كان بعيداً عن روح العصر -عصر الشاعر- لأن الابن لم يكن يهتم برواية شعر أبيه، وإنما كان يحفظ منه المطرزات، والمطرزة مجموعة أبيات إذا أخذ الحرف الأول من كل بيت، وجمعت الحروف ركب منها الاسم المقصود. فمن ذلك هذه المطرزة في اسم "محمد":

وأجمل الرِّيم بين الرند والخزم

ما أحسن البدر في داج من الظلم

بعطر ورد يحاكي طيب نشرهم

حيًا الحيا حَيَّ مَنْ أهواه من صغر

كالزهر في الروض في حب الغمام رمي

محبوب قلبي بهيج الحسن ذو أدب

وريقه الشهد يُخَيِّي دارس الرمم

دري لفظ كأن الدر مبسمه

وقال مطرزا في اسم "توفيق":

تمايل وانثى واهتز تيهاً  
ونادى إن خذي فيه نار  
فقلت له: اسقني من ماء خذ  
يوذ المجرمون نعيم وجهي  
قال بلى فإن اليوم فيها  
ومن شعره قوله مخمساً قصيدة تعبيراً عن حبه الإمام علياً كرم الله وجهه:

نفسى بحب علي المرتضى طربت  
والناس من قزط إخلاصي له عجت  
رضعت ثدي الولا من حرة نجبت  
لا عذب الله أمي إنها شربت  
حب الوصي وغذتيه باللبن

الحمد لله في سر وفي علن  
وكم حقوق لها غدي ومن من  
طابت وطبت فيا لله من لبن  
وكان لي والد يهوى أبا حسن  
فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

ولايتي لأمير النحل قد ثبتت  
بمهجتي كنبوت الطود وارتسمت  
فلا تلمني إذا روي بها فنيث  
لا عذب الله أمي إنها شربت  
حب الوصي وغذتيه باللبن

لذا تراني مشغوقاً مدى الزمن  
بحبه هائماً في السر والعلن  
وهكذا كان قومي من ذوي حسن  
وكان لي والد يهوى أبا حسن  
فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

توفي الشيخ في حمص عام 1937م

محمد طاهر الأتاسي (28)

هو الشيخ محمد طاهر بن الشيخ محمد خالد بن عبد الستار الأتاسي، ولد في حمص عام





ما للجبال الراسيات تزلزلت  
جزعاً، أهذا يومُ كشف الساقِ  
ما للدروس تنكست أعلامها  
وغدت من الأحزان في إطراقِ  
ثم يقول بعد سبعة وثلاثين بيتاً:  
يا واحداً في فقدّه قد جردت  
خوذ الفضائل أجمل الأطواقِ  
إن غاب شخصك بين أطباق الثرى  
فمقام فضلك فوق سبع طباق  
أو كنت أوحشت الأنام مودعاً  
فالحور منك استأنست بتلاقِ  
ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى  
طود الهدى يسري على الأعناقِ  
ما كنت أحسب قبل دفنك أن أرى  
بحراً ببطن الرمس خلّو مذاقِ

وبين يدي قصيدة أخرى في خمسة وستين بيتاً يمدح فيها أستاذه الشيخ بدر الدين بن الشيخ يوسف المغربي ويحدّد فيها جملة من مؤلفات أستاذه، وله غير ذلك من القصائد والمقطعات كالتهنئة بمولود أو تشطير أبيات أو تخميسها، وله في المديح النبوي قصيدة جاءت في 125 بيتاً.  
توفي الشيخ في حمص عام 1940.

### - الشيخ مصطفى الترك (32)

لم نعرف تاريخ ميلاد الشيخ ولا تاريخ وفاته، لكننا نعرف على وجه القطع أنه كان أستاذاً للشيخ الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي، تعلم الزهراوي عنده القراءة والكتابة والحساب واللغة التركية، وكانت بينهما مطارحات شعرية، وقعت على واحدة منها ونشرتها مجلة التراث (33)، وفي كتاب "التاريخ الحمصي" نبذة عن مصطفى الترك فحواها أن الشيخ أصله من إزميد الخشب بجوار استانبول، كان والده أحمد قد حضر مع عسكر السلطان عبد المجيد (34) لمجاربة إبراهيم باشا (35)، ثم توطّن مدينة حمص، وذكر صاحب التاريخ أن الشيخ مصطفى كان عالماً من علماء الجدل ومن شعراء أهل الحقيقة.. ويبدو لي أن شعره كان كثيراً متداولاً بين صوفية مدينته في عصره، فقد أتيح لي أن أطلع على غير ما مجموعة شعرية مخطوطة، وكان في كل منها قصائد للشيخ الترك الذي كان معظم شعره فيما بدا لي في التصوف وكانت له تخميسات وتشطيرات، فمن مشطراته هذه الأبيات التي تدور حول معنى وحدة الوجود:

إنّ الوجود وإن تعدّد ظاهراً  
صورّ تلوح وبعد ذلك تعدّد  
نادى به المعنى الذي هو واحد  
وحياتكم ما فيه إلا أنتم

أنتم حقيقة كل موجود بدا  
قد أعربت ما ثم غير وجودكم  
فى نكتة المرأة سر معلّم  
ووجود هذى الكائنات توهم

ومن شعره الذى يجرى فى فلك "الحقيقة المحمدية" وهو تشطير أيضاً:

وما مصدر الأشياء إلا محمد  
تطاول بالإعجاز مدح جنابه  
فكلّ مليح من سناه سطور  
وناهيك طول المدح فيه قصور  
بدائرة التكوين نور جماله  
وفى حضرة الإمكان جمع مقامه  
لأعياننا فيض الوجود يعير  
عليه جميع الكائنات تدور

وله أيضاً مخمّساً ما سبق ذكره فى الموضوع نفسه:

جمال رسول الله نور موقّد  
أقول وإنى فى المقال مؤكّد  
ومنزله بين الكواكب قرّقد  
وما مصدر الأشياء إلا محمد  
وناهيك طول المدح فيه قصور

بدا تحت فرع الكون قرّق هلاله  
مليح وهذا الحسن رسم خياله  
فزيّن جيد الدهر عقد مثاله  
بدائرة التكوين نور جماله  
عليه جميع الكائنات تدور

ومن شعره:

سألت أحبّتى: ما كان ذنبى  
وقلت لعنّى ألقى جواباً  
لديهم عندما غفل الرقيب  
أجابونى وأحشائي تذوب  
إذا كان المحبّ قليل حظ  
ومن طلب العلا من غير سغب  
فأسهمه أبت يوماً تُصيب  
فما حسناته إلا ذنوب

ومن تشطيره:

لو قابل البدر بعضاً من سناك غدا  
أو رام ينظر فى مرآك عنك لوى  
صغق الفناء له فى الحال موقوتا  
حيران ذا كلّ بالنور مبهوتا

## ❖❖❖ التراث العربي ❖❖❖

ولو مشيت على الحصباء صيرها  
وليس من عجب أن راح يظهرها  
إكسير سغديك تبراً بُثَّ مفتوتاً  
شعاع خديك مزجاناً وياقوتاً

ومن شعره في التصوّف:

بدت لي شمس الوصل فانكشفت حُجبى  
وما نقت هجرأ والحبيب مُسامري  
وغيبت عن الأشخاص مذ كنتم معى  
لئن حركتني نحوكم نسمة الصبا  
إذا غاب معانكم تذكرت طيفكم  
ولاحت لي الأنوار فى حالة الجذب  
يوالي فوادي بالتداني وبالقرب  
إذا اشتقت رؤياكم نظرت إلى القلب  
رأيت فؤاد الصب ينشد فى الركب  
ومن لم يجذ ماء تيمم فى الركب

□□

### □ الإحالات والتعليقات

- 1- انظر العدد 33 من مجلة التراث العربي صفر 1409 هـ = تشرين الأول 1988 ص 88 وما بعدها.
- 2- انظر حلية البشر 2: 846
- 3- الشيخ عبد الرزاق البيطار: ولد في دمشق سنة 1253 هـ وتلقى على علمائها. كان ممن اشتهر بالإنكار على أرباب الخرافات، ولا تأخذه في إثبات الحق لومة لائم. له عدد من المؤلفات. توفي بدمشق عام 1335 هـ.
- انظر ترجمته بقلم حفيدة الشيخ محمد بهجة البيطار في حلية البشر 1: 9 وما بعدها وكان الشيخ محمد بهجة قد نشر هذه الترجمة في مجلة المنار بالقاهرة. المجلد 21 ص 317.
- 4- حلية البشر 2: 847
- 5- أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد المتوفى 429 هـ صاحب يتيمة الدهر.
- 6- حلية البشر 2: 847
- 7- الأبيات من أوراق قديمة لذي.
- 8- انظر أعلام الأدب والفن 1: 38 ومعجم المؤلفين 4: 97 وذكر في الكتابين باسم خالد ودون اسمه على شرح المجلة: محمد خالد
- 9- نشر شرح المجلة في ستة أجزاء حسب التسلسل الآتي:

- ج1- 1930 مطبعة حمص - حمص
- ج2- 1931 مطبعة حمص - حمص
- ج3- 1933 مطبعة حمص - حمص
- ج4- 1934 مطبعة حمص - حمص
- ج5- 1936 مطبعة السلامة - حمص



## التراث العربي

- ج6- 1937 مطبعة السلامة- حمص
- 10- أعلام الأدب والفن: 38، 39
- 11- انظر خبر الغزاة المشار إليه في شرح الهزيمة لابن حجر الهيتمي: 71 وشرح الشفاء للقاضي عياض 1: 639 والخصائص الكبرى للسيوطي: 61 وحدائق الأنوار لابن الربيع 1: 237
- 12- من قصيدته المشهورة بنهج البردة وأولها:  
ريم على القاع بين البان والعلم  
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
- 13- محدث باشا 1822-1883
- محدث باشا أو أحمد محدث ابن حاجي حافظ أشرف أفندي، أبو الأحرار العثماني، ولد في اسطنبول وكان أبوه قاضياً وسماه "محمد شفيق" وغلب عليه اسم "أحمد محدث" ثم "محدث". تقلب في مناصب هامة منها منصب الصدارة العظمى. وأصدر الدستور العثماني في أواخر 1293هـ = 1876م. وعين والياً على الشام.. ونفي إلى الحجاز. وهناك قتل بأمر من السلطان. وقالت صحف الدولة إنه مات بمرض السرطان.. انظر الأعلام 7: 195 طبعة رابعة.
- 14- الطغراني: الحسين بن علي المتوفى سنة 513هـ وهو صاحب لامية العجم المشهورة وأولها:  
أصالة الرأي صانتني عن الخطل  
وحلية الفضل زانتني لدى العطل
- 15- ابن الوردي: عمر بن مظفر المتوفى عام 749هـ وهو صاحب اللامية المشهورة:  
اعتزل فكر الأغاني والفنن  
وقل الحق وجانب من هنن
- 16- ما بين معقوفتين زيادة مني يقتضيها السياق
- 17- عبد القادر بن عمر نيهان له ترجمة في منتخب تواريخ دمشق للحصني 2: 762
- 18- العدد 33-1988
- 19- التاريخ الحمصي للشيخ عبد الهادي الوفاي المتوفى 1909م وكتابه لا يزال مخطوطاً لدى.
- 20- (أبوكات) أي محام وفعلًا قال عنه الشطي في كتابه أعيان دمشق: محام بارع.
- 21- الحصني: محمد أديب بن محمد بن عبد القادر، تقي الدين الحصني الحسيني: من أهل دمشق، ولي نقابة أشرافها مدة وعُني بتاريخها فجمع كتاباً سماه "منتخبات التواريخ لدمشق". كان مولده بدمشق عام 1292هـ = 1874 وتوفي بدمشق عام 1358هـ = 1940م. عن الأعلام 6: 252 طبعة ثالثة
- 22- منتخبات التواريخ: 762
- 23- هذا الشرح بحوزتي وقد خطه بقلمه الخطاط صدقي بن علي القرشي الحنفي عام 1318هـ.
- 24- هذا الكتاب لعبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي المقدسي المتوفى سنة 678هـ طبع طبعات كثيرة منها طبعة عام 1280هـ وطبعة في دمشق بتحقيق الدكتور مختار هاشم وأخرى في دمشق سنة 1988 بتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية وصبحي حباب.
- 25- لم أر من خصه بترجمة خاصة واسمه محمد طه السكاف.
- 26- الخوري عيسى أسعد 1878-1949 انظر ترجمته في تاريخ حمص -القسم الثاني: 499.
- 27- التاريخ الحمصي للوفاي: مخطوط.
- 28- محمد طاهر الأتاسي، ذكره الزركلي باسم طاهر، وقد أثبتنا ما دون على غلاف شرح المجلة، تعلم في مدرسة

## \*\*\* التراث العربي \*\*\*

القضاء الشرعي بالأستانة، وأخذ عن السيد محمود الحمازوي والشيخ بدر الدين الحسني في دمشق. وولي القضاء سنة 1306هـ بحوران فنبلس فالكرك ثم في دنزلي وأذنة والقدس والبصرة. ثم تولى الإفتاء بحمص.. عن الأعلام 3 : 319 طبعة ثالثة. وانظر تاريخ حمص القسم الثاني 497 وفيه أن ولادته كانت سنة 1854م. وانظر معجم المؤلفين 5: 35

29- تقدمت ترجمته في التراث العربي. العدد 33.

30- خالد أفندي المفتي هو محمد خالد الأتاسي الذي تقدم الحديث عنه.

31- انظر ترجمته في حلية البشر 1: 146

32- لم أر من أفردته بالترجمة سوى كتاب "التاريخ الحمصي" المخطوط.

33- مجلة التراث العربي: العددان 25-26 جمادى الأولى 1407هـ - كانون الثاني (يناير) 1987م وكتاب عبد الحميد الزهراوي: الأعمال الكاملة 2: 457

34- السلطان عبد المجيد ولد سنة 1237هـ وتولى السلطنة سنة 1255هـ = 1839م وتوفي سنة 1277هـ = 1861م.

انظر أخباره في كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية من ص 237 إلى ص 287.

35- إبراهيم باشا:

هو إبراهيم بن محمد علي باشا، ولد في "تصرتلي" بالقرب من قوكة بالرومللي سنة 1204هـ = 1790م وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة 1220هـ وأرسله أبوه أو مقبنيه محمد علي سنة 1231هـ بحمله إلى الحجاز ونجد.. وفي سنة 1247هـ سيره بجيش إلى سورية فاستولى على عكة ودمشق وحمص وحلب وتجاوز جبال طوروس وقارب الأستانة فتدخلت الدول الأجنبية وعقدت معاهدة كونتاهية (1833م).. توفي بمصر سنة 1264هـ = 1848م. عن الأعلام 1: 66 ط3.



### □ أهم المصادر والمراجع

-الأعلام: خير الدين الزركلي طبعة ثالثة وطبعة رابعة. دار العلم للملايين. بيروت 1979  
-أعلام الأدب والفن - أدهم الجندي ج1 مطبعة مجلة صوت سورية 1954 ج2 مطبعة الاتحاد بدمشق 1958  
-تاريخ حمص. الخوري عيسى أسعد- القسم الأول طبع في مطبعة السلامة بحمص 1939  
-تاريخ حمص- منير الخوري عيسى أسعد- القسم الثاني. مطرانية حمص الأرثوذكسية 1984  
-التاريخ الحمصي- عبد الهادي الوفائي- مخطوط  
-تاريخ الدولة العلية العثمانية. محمد فريد بك المحامي- دار الجيل- بيروت 1977  
-حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر- الشيخ عبد الرزاق البيطار حقه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار.

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1961-1963

معجم المؤلفين- عمر رضا كحالة- مطبعة الترقى بدمشق 1958

-مقالات وكتب: عبد الحميد الزهراوي -الأعمال الكاملة. إعداد وتحقيق د. عبد الإله نبهان -وزارة الثقافة- دمشق 1995

-منتخبات التواريخ لدمشق- محمد أديب آل تقي الدين الجصني- دار الآفاق- بيروت 1979.

